٥ و٢ - أيام ١: ١٣ - مقابل مع: أمثال.: ١١ - ١٦ ومتى ٦: ٣٣)!!...

هذه الشطحات الزور والشيطنات الغُرور هي مما ﴿تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ﴾.

ثم القرآن يصفه بأجمل الأوصاف في سلطته الزمنية، والروحية الرسالية كما في الأنعام والأنبياء والنمل وص وسواها، مما يقلُّ مثيله في المرسلين الملوك والملوك من المرسلين![1].

وهنا ﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ حالاً من الشياطين، تعني أنهم حال كفرهم - بما تلوا على ملك سليمان - يعلمون الناس السحر، فهو من قضايا الكفر، ولقد كان مما تلوه على ملكه أنه إنما ملك ما ملك بالسحر، فلنملك نحن أو نملّك بالسحر، نكراناً لاصطفاء الله له في هذه السلطة الزمنية إلى الروحية الرسالية! إذاً فتعليم السحر وتعلمه كفرٌ أو على هامشه، وأما ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾؟.

لا شكّ أنهُ أنزل على هذين الملكين السحر، ولكنه أنزل عليهما ما أنزل إبطالاً لسحر الشياطين وليس تعليماً للإفساد، فكما أن تعليم الآية المعجزة لموسى إبطالاً لسحر السحرة واجب رسالي، فلتكن معرفة المعجزة واستعمالها إبطالاً للسحر واجباً أم راجحاً إيمانياً، وكما القرآن - بأحرى - يبطل أي سحر!

فـ «ما» في ﴿وَمَآ أُنزِلَ﴾: و﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ﴾ قد تكون نافية تعني: ما أنزل سحر الشياطين على الملكين وإنما أنزل عليهما مبطل السحر مهما كان سحراً ولكنه من نوع آخر يبطل الأوّل، فهو - إذاً - أقوى من الأوّل، ثم

(١) راجع كتابنا «عقائدنا» في مقارنة سليمان القرآن والعهدين ٤٢٧ - ٤٤١.

و﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ﴾ إبطاله ﴿مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ امتحاناً لكم وابتلاء ﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾ باستعماله في الباطل، وإنما في حق الإبطال لباطل سحر الشياطين ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ﴾.

وكون «ما» الأولى موصولة لا يرجع إلى معنى صالح، اللّهم إلّا بحذف الواو عن ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ﴾ فالمعنى: والسحر الذي أنزل على الملكين ما يعلمان به من أحد... فإنه ليس إلّا إبطالاً للسحر.

ذلك، وأبعد منه عن المسرح كون «ما» فيهما موصولة، أو الأولى نافية والثانية موصولة، مهما دخلت هذه الثلاث في حساب المليون ومائتين وستين ألف احتمالاً بضرب كلّ المحتملات في كلٍّ من مقاطع الآية بعضها في البعض، حيث الاكثرية الساحقة لا تناسب أدب اللفظ أم المعنى أم كليهما.

ثم هاروت وماروت وهما ملكان، كانا يظهران - بأمر الله - بهيئة الإنسان ببابل فيعلّمون الناس المبتلين بسحر الشياطين سحراً أقوى منه يبطله ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ﴾ سحرهما النازل عليهما إلّا بحجة رادعة قارعة: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ ولكنهم كانوا يبدّلون الحسن سوءاً والخير شرّاً ككلّ من يستعملون نعمة الله في نقمة حيث يبدلونها نَعمة ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ فـ «يفرِّقون به - دون - يفرِّق به» تلمح أن ذلك السحر كان لإبطال التفرق، وكما يأتي منه التفريق أيضاً حسب مختلف استعمالاته، كما اللسان القادر على الإفصاح قد يوفق بين المتخاصمين وأخرى يفرق بين المتحابين[1].

(١) نور الثقلين ١: ١١٤ في الاحتجاج للطبرسي عن أبي عبد الله عليه السلام حديث طويل وفيه قال السائل له: فمن أين علم الشياطين السحر؟ قال: من حيث عرف الأطباء الطب، بعضه تجربة وبعضه علاج، قال: فما تقول في الملكين هاروت وماروت، وما يقول الناس بأنهما يعلمان السحر؟ قال: إنهما موضع ابتلاء وموقف فتنة بتشييحهما اليوم لو كان فعل الإنسان كذا =

هؤلاء الأنكاد كانوا يستعملون آلة الخير في الضر بالناس، ويخيّل إليهم أنهم هم الضارون به بعيداً عن إذن الله، حال أنهم - كضابطة عامة في كلّ ضرٍّ وشرٍّ أم خير - ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾.

أترى الله يأذن بتأثير الضرِّ تكويناً ما لم يسمح به تشريعاً وهو تناقض؟ هنا الضر بإذن الله ليس إلّا بعد تكملة الاختيار من أصحاب الضرِّ والشرِّ، فلا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين، وكما لا جبر في فعل الخير أو تركه، كذلك لا جبر في فعل الشرِّ أو تركه، وهكذا التفويض، فأمر بين أمرين في هذين الأمرين، أن المقدمات لكلّ فعل اختياريٍّ، منها اختيارية يختارها الفاعل، ثم الإذن التكويني الخاص بالله - قضيةَ توحيد الأفعال - هو الذي يُبرز عملية الاختيار إلى الوجود، فقد يأذن الله تحقق محاولات الشرّ، إذ لولاه لكان الشرير مسيّراً في ترك الشرِّ، كما في كلّ شرير واصلٍ إلى شرّه، وهذه ضابطة عامة تحلِّق على الخيرات والشرور.

وقد لا يأذن - لأمور طارئة، حكمة من الله، أم لصالح فيمن يُؤمَن عن الشرّ، أم هما كما لم يأذن الله للنار أن تحرق إبراهيم، وهو يأذن لها أن تحرق كضابطة عامة سارية المفعول عند الشرائط الخِلقية.

إذاً فـ «لا مؤثر في الوجود إلّا الله» ولكن دون جبر أو تفويض في الأمور الاختيارية، فإنما الفعل يصبح اختيارياً للفاعل، أو الترك للتارك، إذا كانت بعض مقدماته اختيارية، مهما كان الاختيار درجات أو دركات في

= وكذا لكان كذا وكذا، ولو يعالج بكذا وكذا لصار كذا أصناف السحر، فيعلمون منهما ما يخرج عنهما فيقولان لهم: إنما نحن فتنة فلا تأخذوا عنا ما يضركم ولا ينفعكم، قال: أفيقدر الساحر أن يجعل الإنسان بسحره في صورة الكلب أو الحمار أو غير ذلك؟ قال: هو أعجز من ذلك وأضعف من أن يغيَّر خلق الله، إن من أبطل ما ركبه الله وصوره فهو شريك الله في خلقه تعالى عن ذلك علواً كبيراً.

الخيرات والشرور، حسب عديد المقدمات كثرة وقلة، ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾[١].

﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ من الشياطين، فإنهم يعلّمون الناس السحر ضَرّاً، أم من الملكين، مهما علّموهم ما ينفعهم إبطالاً لضرّ السحر وشرّه، ولكنهم بسوء اختيارهم يستعملونه في الشرّ بدلاً عن إبطاله.

والسحر هو كسائر العوامل الخفية - الطبيعية - عن جلّ الناس، يؤثر أثره حين يأذن به الله، والعلوم الباحثة عن خفيات التأثيرات الغريبة متشجرة - وهي في نفس الوقت متشاجرة - واعرف ما تداول منها: السيمياء - الليمياء - الهيمياء - الريمياء - والكيمياء[٢]، وهي مشتركة في كونها من

(١) سورة النجم، الآية: ٣٩.

(٢) فالسيمياء هو العلم الباحث عن تمزيج القوى الإرادية بقوى مادية خاصة للحصول على غرائب التصرفات في الأمور الطبيعية، كالتصرف في الخيال المسمى بسحر العيون وهو من أبرز مصاديق السحر، والليمياء هو الباحث عن كيفية التأثيرات الإرادية باتصالها بالأرواح القوية العالية كالأرواح الموكلة بالكواكب والحوادث وغيرها بتسخيرها أو باتصالها واستمدادها من الجن بتسخيرهم ويسمى بفن التسخيرات.
والهيمياء هو الباحث عن تركيب قوى العالم العلوي مع العناصر السفلية للحصول على عجائب التأثير وهو الطلسمات، فإن للكواكب العلوية والأوضاع السماوية ارتباطات مع الحوادث المادية كما أن العناصر والمركبات وكيفياتها الطبيعية كذلك، فلو ركبت الأشكال السماوية المناسبة لحادثة من الحوادث كموت فلان وحياة فلان وبقاء فلان مثلاً مع الصور المادية المناسبة أنتج ذلك الحصول على المراد وهذا معنى الطلسم.
والريمياء هو الباحث عن استخدام القوى المادية للحصول على آثارها بحيث يظهر للحس أنها آثار خارقة بنحو من الأنحاء وهو الشعبذة، وهذه الأربعة مع الكيمياء - الباحث عن كيفية تبديل صور العناصر بعضها إلى بعض كانت تسمّى عندهم بالعلوم الخمسة الخفية . . .
(تفسير الميزان نقلاً عن الشيخ بهاء الدين العاملي) ثم يستمر قائلاً: ومن العلوم الملحقة بما مرّ علم الأعداد والأوفاق وهو الباحث عن ارتباطات الأعداد والحروف للمطالب ووضع العدد أو الحروف المناسبة للمطلوب في جداول مثلثة أو مربعة أو غير ذلك على ترتيب مخصوص، ومنها الخافية وهو تكسير حروف المطلوب أو ما يناسب المطلوب من الأسماء =

السحر، مختلفة في أسبابها وتأثيراتها وأبعادها في النفوس وواقع الحياة.

﴿وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ﴾ السحر من الشياطين الضارّين به، أو الناس المشترين إياه منهم، أم هما معاً ﴿مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ ونصيب ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ إذ شروها بيعاً بثمن السحر الضار، فأبقوا نفوسهم بتعلم السحر والإضرار به، واستحقوا العقاب، ويْكأنهم رضوا بالسحر ثمناً لنفوسهم، إذ عرّضوها بعمله للهلاك، وأبقوها لدائم العقاب، وكانت كالأعلاق الخارجة عن أبدانهم بأنقص الأثمان وأدون الأعواض.

أولئك الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار. جهنم يصلوها وبئس القرار!

هذا ما يتسابق إلى الفهم من مغزى الآية بصورة تجريدية صالحة لفظية ومعنوية، والقرآن حمال ذو وجوه فاحملوه إلى أحسن الوجوه.

فـ «الشيطان» هنا تعمُّ شياطين الجن والإنس، ومن الآخرين هؤلاء العلماء السوء الذين دسّوا في كتابات الوحي ما يمس من كرامة الساحة الرسالية لسليمان وأضرابه من المرسلين.

فقد كفر شياطينُ الجن إذ ألقوا إليهم ما ألقوا، وكفر هؤلاء التلاميذ إذ دسّوا في كتب الوحي ما دسّوا.

وما قصة نازل السحر على الملكين إلّا بلية صالحة لغربلة الناس، ليظهر ناسهم عن نسناسهم، فيعرفون أنفسهم ويعرفهم الناس، كيف هم يبدلون

= واستخراج أسماء الملائكة أو الشياطين الموكلة بالمطلوب والدعوة بالعزائم المؤلفة منها للنيل على المطلوب، ومنها التنويم المغناطيسي وإحضار الأرواح وهما كما مرّ من تأثير الإرادة والتعرف في الخيال واشتهار أمرها يغني عن الإشارة إليها هاهنا والغرض مما ذكرنا على طوله إيضاح انطباق ما ينطبق منها على السحر أو الكهانة.

نِعمةَ الله كفراً، ويستغلونها في الضرّ والشرّ؟. كما و﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾(١) وإلى سائر الابتلاءات والفتن الربانية.

ولقد كثرت رواة هذه القصة وقلّت رعاتها، اهتماماً بأيّة رواية، وتغافلاً عن أيّة رعاية، ولا يصدَّق منها إلّا ما صدقه كتاب الله، أم - ولأقل تقدير - لم يكذبه ولم يأت برهان لتكذيبه، فقد يحتمل إذاً صدقه.

هذه القصة وأضرابها مما تمتُّ بصلة إلى إسرائيل هي مسرح الأكاذيب والمختلقات الزور الغُرور، التي يدسّها بين أحاديثنا الغَرورُ، ولا أصل لنا أصيلاً نصدر منه ونرجع إليه إلّا القرآن العظيم.

وكثير من هذه الأحاديث - كغيرها - الواردة في مطاعن الأنبياء وعثراتهم، هي مما دسّته اليهود في أحاديثنا، كما وأعانهم عليها قوم آخرون من المسيحيين ومنافقي المسلمين، وجهالهم البسطاء!.

والقرآن ينفصح عما دسوا وأخفوا، ويفضح ما صفوا فيه ودفوا، فإنه مهيمن على ما بين يديه.

إنهم كفروا بذريعة الإيمان والأمان، وطغوا فيها بديلاً عن التُّقى:

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾﴾:

﴿وَلَوْ﴾ الأولى تحيل إيمانهم وتقواهم، كما الثانية تحيل علمهم بمثوبة الله، وهما استحالتان بالاختيار: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾(٢).

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٤٩.
(٢) سورة الصف، الآية: ٥.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْۗ
وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ
ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْۚ وَٱللَّهُ
يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ مَا نَنسَخْ
مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَاۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ
شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَمَا
لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُواْ
رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ
ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ
يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا
تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّۚ فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ
كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم
مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ وَقَالُواْ لَن
يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْۗ قُلْ هَاتُواْ
بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ
مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾
وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ
شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْۚ فَٱللَّهُ

يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾﴾:

﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَـٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[1].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ صيغة سائغة في القرآن لقبيل الإيمان، يختص بها المؤمنون بهذه الرسالة الأخيرة، وهذه هي المرة الأولى في القرآن حسب التأليف - دون التنزيل - ونجدها في القرآن زهاء خمس وثمانين مرة.

ثم الأمم الأخرى حسب التعبير القرآني هم بين: قوم - أصحاب - بني... ناس - وأضرابها، مما يبرز شرف هذه الأمة الأخيرة على ما قبلها، ولأن إيمانها أشرف إيمان بين مؤمني الأمم بأسرها.

﴿رَٰعِنَا﴾: في لغة المسلمين لا تعني إلّا: انظرنا رعاية لحالنا، وهي - ليًّا باللسان - في لغة إسرائيل: سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع أمّا شابه نقيضاً لإسلاميتها، واليهود المتعودون على تحريف الكلم من بعد مواضعه

(١) سورة النساء، الآية: ٤٦.

كانوا يستعملون هذه الصيغة السائغة لقبيل الإيمان، كصيغة لقبيل الكفر، متظاهرين أنها كالأول، مستهزئين بالرسول ﷺ والمؤمنين، فنهى الله المسلمين أن يقولوها ابتعاداً عن ذريعة إسرائيلية إلى بغية لئيمة، وكذلك عما تعطيه ﴿رَٰعِنَا﴾ من هيِّن المعنى وهو إدارته الحفظ مع تولي الأمر، وليس هي على الرسول ﷺ وإنما عليه البلاغ ثم النظر إلى المبلَّغ إليهم كيف يعملون؟.

إذاً ففي ﴿رَٰعِنَا﴾ ذريعة إسرائيلية لعينة، ومزرأة إسلامية مُهينة، ولكن ﴿ٱنظُرْنَا﴾ نظراً رسالياً كشهيد على المرسل إليهم، ذلك تعبير نظيف حفيف.

﴿وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْ﴾ سمعاً لمقالات الرسالة، وتطلُّباً من الرسول أن ينظر إليهم نظر الرقابة هل عملوا بما سمعوا، أم هل وعوا ما سمعوا، ليطابق الوعي البلاغ، ويوافق العملُ ما بلَّغ، تكميلاً لنقص الوعي، وتقويماً في التطبيق.

فهذا هو المطلوب من الرسول بعد البلاغ، دون الرعاية لأحوالهم وكأنه هو الشارع، فليخفِّف عنهم في شرعته، ففي تركهم قول ﴿رَٰعِنَا﴾ سدٌّ على ثغرة إسرائيلية، وآخر على مجهلة إسلامية.

ثم ﴿رَٰعِنَا﴾ عربياً مفاعلة من الرعاية، طلباً لها، فقد يعني ليَّها بألسنتهم ليَّ التعبير كـ ﴿رَٰعِنَا﴾ يعنون بها أن الرسول ما هو إلّا راعي الإبل فينا دون رسالة أو ميَّزة أخرى؟.

أم ﴿رَٰعِنَا﴾ من الرعونة بحذف أداة النداء «يا راعنا» مدللاً فيما تدعيه من الرسالة؟.

أم ليّ المعنى إيهاماً بها للمساواة كـ: أرعنا سمعك لنرعيك أسماعنا؟.

أم ليّاً فيهما، ففي التعبير ليٌّ يحرِّف ﴿رَٰعِنَا﴾ عن عربيته مثل «رَعناً»:

حمقاً، ثم المعنى كخليفة له: ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾[١] كما في آيتها الأخرى تفسيراً لها؟ ولا نجده في ليٍّ عربي إذ لم يكن يعني إلّا الرعونة وراعي الإبل وأين هما من مثلث المعني هنا؟.

وعلّهم كانوا يجمعون بين اللّيين، جمعاً للمعنيين اللئيمين، والقرآن يكتفي في آيته الثانية بالثاني.

وقد بدل الله هنا «عصينا» بـ ﴿وَأَطَعْنَا﴾ - ثم ﴿وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ بـ ﴿وَٱسْمَعْ﴾ و﴿وَرَٰعِنَا﴾ بـ ﴿وَٱنظُرْنَا﴾ إصلاحاً شاملاً كاملاً يسد إلى ثغرة إسرائيلية: ﴿وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ﴾[٢] ثغرةً إسلامية: جهلاً في الدين، وقد يناسب ﴿وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ﴾ تفسيراً لـ ﴿وَرَٰعِنَا﴾ في ليِّها، بأنها من الرّعن، وهي في العبرانية: الحمق، إن كانوا يقولون «رَعناً» أي: حَمقاً، وحمق الرسول ﷺ - وعوذاً بالله - طعن في الدين عن بكرته، فإن الشرط الأوّل للرسالة هي العقلية البارعة للرسول، وقد يروى عن الإمام الباقر عليه السلام: «هذه الكلمة سبٌّ بالعبرانية إليه كانوا يذهبون»[٣] «يقولون راعنا يريدون شتمه»[٤].

---

(١) سورة النساء، الآية: ٤٦.
(٢) سورة النساء، الآية: ٤٦.
(٣) نور الثقلين ١: ١١٥ عن المجمع.
(٤) تفسير البرهان عن الإمام العسكري عليه السلام قال موسى بن جعفر عليه السلام وكانت هذه اللفظة ﴿رَٰعِنَا﴾ من ألفاظ المسلمين الذين يخاطبون رسول الله ﷺ يقولون: ﴿رَٰعِنَا﴾ أي: ارع أحوالنا واسمع منا كما نسمع منك، وكان في لغة اليهود معناه: اسمع لا سمعت - فلما سمع اليهود المسلمين يخاطبون بها قالوا: كنا نشتم محمداً إلى الآن سرّاً فتعالوا الآن نشتمه جهراً فكانوا يخاطبون رسول الله ﷺ ويقولون راعنا يريدون شتمه ففطن لهم سعد بن معاذ الأنصاري فقال: يا أعداء الله عليكم لعنة الله أراكم تريدون سبّ رسول الله توهمون أنكم تجرون في مخاطبته مجرانا والله لا أسمعها من أحد منكم إلّا ضربت عنقه، ولولا أني أكره أن أقدم عليكم قبل التقدم والاستئذان له . . . لضربت عنق من قد سمعته منكم . . . فأنزل الله يا محمد ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ [النّساء: ٤٦] وأنزل ﴿لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا﴾ [البَقَرَة: ١٠٤] فإنها لفظة يتوصل بها أعداؤكم من اليهود إلى سبّ رسول الله وشتمكم ﴿وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا﴾ [البَقَرَة: ١٠٤] أي: قولوا بهذه اللفظة لا بلفظة ﴿رَٰعِنَا﴾.